الكتابة النسائية في المغرب العربي

بدأت ملامح الرواية النسائية المغاربية في الظهور قبل عقد الخمسينات من القرن العشرين،حيث صدرت للطاوس عمروش سنة 1947 رواية الزنبقة السوداء التي تعد أول رواية نسائية مغاربية باللغة الفرنسية،غير أن الانطلاقة الفعلية لهذا النوع من الأدب لم تتحقق إلا بعد اختفاء صورة الأدب الاستعماري،حيث وجد الإنسان المغاربي مجالا ليمارس فعل الكتابة ويعبر عن نفسه بنفسه،ومن ثم أخذت الروائيات المغاربيات موقعا في التاريخ الأدبي من خلال الممارسة الروائية باللغة الفرنسة والعربية،وبذلك ظهرت أول رواية مغاربية مكتوبة بالعربية سنة 1954 وهي رواية الملكة خناثة للكاتبة المغربية آمنة اللوة.

من القضايا النقدية المطروحة في مجال الكتابة النسائية،إشكالية المصطلح وهو في الواقع حديث ذو طابع إشكالي في الساحة الأدبية والنقدية العربية نظرا لعدم الاستقرار على مفهوم الأدب النسوي،بمعنى آخر هل يملك هذا الأدب خصوصيته واختلافه مما يشرع أحقيته في المصطلح،لأن مصطلح أدب نسوي يشير آليا إلى آخر رجالي والذي يشير بدوره إلى وجود اختلاف في طرق التفكير وبالتالي الكتابة ومن هنا تضاربت الآراء بين مؤيد ومعارض وبين معترف بقيمة هذا الأدب ومنكر له.

فهذا المصطلح لم يجد له مكانا شرعيا في الساحة النقدية العربية التي هي لا تبنته ولا أنكرته،ومعظم الآراء تجمع على رفض التسمية بحجة أن لا جنس للكتابة فالكتابة واحدة سواء أكان المبدع رجلا أم امرأة،لذلك لا يجب أن تصنف تصنيفا بيولوجيا فالفكر الإنساني ينتج عن وحدة هي مخ الإنسان وهذه الوحدة لا تختلف في طرائق التفكير إلا لبيان الفروق الفردية،فكل من المرأة والرجل يعيش في البيئة نفسها والظروف ذاتها وعليه فإن التمايز في الإبداع إنما تمليه الفروق الفردية لا نوع الجنس.

فهذه الناقدة خالدة سعيدة من خلال مؤلفها"المرأة،التحرر،الإبداع"ترى أن إطلاق مصطلح الأدب النسائي على ما تبدعه المرأة ينوء ويبتعد عن الموضوعية والدقة،وعلتها في ذلك أن ما تبدعه المرأة لا يملك تلك الخصوصية التي تميزه وبالتالي تؤهله لأن يكون أدبا متميزا يحمل هويته الخاصة والناقدة ترفض المصطلح لأنه يحصر الأدب في الفئوية.

وبدوره الناقد حسام الدين الخطيب يرى أن مصطلح الكتابة النسائية تم إطلاقه على أساس تصنيف بيولوجي،فهو مبدئيا لم يرفض المصطلح وإنما رفض نوع التصنيف فحسب رأيه التصنيف الأصح لا يكون على أساس جنسي وإنما على أساس الموضوعات المطروحة أي أن المصطلح يكون صالحا ومشروعا نقديا إذا كان الأدب ينقل قضايا المرأة ومشكلاتها الخاصة.

أما الباحث عبد العاطي كيوان فيرى أنه ليس ثمة فرق من حيث الإبداع بين سرد نسائي وأخر رجالي،إذ هو شكل أدبي واحد بصرف النظر عن نوع مبدعه لا يعرف التذكير أو التأنيث فهو يرفض المصطلح لأنه في نظره لا يملك الخصوصية التي تميزه عما يكتبه الرجل فالمرأة والرجل سيان في الكتابة الإبداعية.

وتعلن الباحثة هيام خلوصي أنه لا يمكن اعتبار كل ما تكتبه المرأة أدبا نسائيا لمجرد كون منتجه أنثى،ولا تعني كثرة الأسماء النسائية في أي إنتاج أدبي بالضرورة ازدهار الأدب النسوي فهي تنفي أن يكون الأدب النسائي بالضرورة من إنتاج الأنثى وهنا نطرح السؤال:هل يمكن للرجل أن ينتج أدبا نسائيا؟

كما ان هناك من النقاد من يفرق بين الكتابة النسائية والكتابة النسوية،حيث تقول الناقدة يسرى مقدم أن الرواية النسائية لا تتمذهب ولا تتأدلج أو تنتج قولا فهي لا تملك القدرة على الفعل،على غرار ما تفعل قرينتها الرواية النسوية،نفهم من ذلك أن مصطلح الكتابة

النسائية يحيل إلى الجانب البيولوجي لا أكثر أما النسوية فهي حركة تحررية تحمل شحنات نضالية تسعى إلى إنتاج خطاب تحرري من صنع النساء أنفسهن وليس من صنع الرجل،خطاب يحمل إيديولوجيته ومبادئه الخاصة التي تضمن تفرده.

وهو ما ذهب إليه الناقد محمد طرشونة حيث يرى أن الرواية النسوية هي رواية ملتزمة تحمل رسالة تتمثل في الدفاع عن حقوق المرأة،وقد تتجاوز المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة إلى إثبات التفوق والامتياز وفيها لهجة نضالية ...ثم هناك الرواية النسائية وهي بكل بساطة الرواية التي تكتبها المرأة.

وإذا أردنا الإشارة إلى توجهات الكتابة النسائية موضوعاتيا فيمكن حصرها فيما يلي:

-كتابات موجهة نحو الرجل.

-كتابات موجهة نحو المؤسسات الاجتماعية.

-كتابات موجهة نحو الذات.

ومن القضايا التي طرحتها الكتابة النسائية في ابداعاتها السردية الروائية نذكر منها:

-قضية المرأة:والتي تعد من أهم أسئلة المتن الحكائي للرواية النسائية المغاربية وهي تتأسس على أشكال من المكاشفة والاعترافات الصامتة،التي يتداخل فيها الواقعي بالمتخيل،فعرضت لنماذج من المرأة كالمرأة الأمية والمثقفة والمرأة المتحررة والمتمردة على قوانين المجتمع،كما خاضت في الطابوهات والمحرمات.

-قضية السياسة والوطن:مما أثار الكاتبة هنا هو موضوع الاستقلال وما جناه الأهالي ومنه المرأة خاصة التي لم تجن منه سوى الخسارة والحسرة وهو ما صورته رواية عام الفيل لليلى أبو زيد التي ناضلت كثيرا لأجل الاستقلال ولما تحقق وجدت نفسها عاملة

نظافة،وطرحت رواية بحر الصمت لياسمينة صالح سؤالها عن خيانة الاستقلال لأولئك الذين ناضلوا من أجله.

-قضية الآخر/الغرب:ارتبط الأخر في الرواية النسائية المغاربية بالاستعمار وبشاعته ومن ذلك ما نراه في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغامي،كما رأيناه يرمز في كتابات بعضهن إلى الحرية والتفتح والنجاح العلمي كما في رواية زهرة الصبار لعلياء التابعي.

ويزخر السرد المغاربي بنماذج من الكتابة الرواية النسائية والتي نذكر منها:

-الجزائر :فضيلة الفاروق(تاء الخجل،اكتشاف الشهوة)،زهرة الديك(بين فكي وطن)،شهرزاد زاغر(بيت من جماجم)

-تونس:أمال مختار(الكرسي الهزاز،نخب الحياة)،مسعودة بوبكر(طرشقانة،ليلة الغياب)،حياة بالشيخ(للحرافيش كلمة)

-المغرب:ليلى أبو زيد(رجوع الى الطفولة،عام الفيل)،زهور كرام(جسد ومدينة)،مليكة مستظرف(جراح الروح والجسد)